تفسير إبن كثير

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ

يذكر تعالى نعمه على عبيده ، بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم [وزيهم] ولو جعل الأزواج من نوع آخر لما حصل ائتلاف ومودة ورحمة ، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورا وإناثا ، وجعل الإناث أزواجا للذكور .ثم ذكر تعالى أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة ، وهم أولاد البنين . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، والضحاك ، وابن زيد .قال شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (بنين وحفدة) هم الولد وولد الولد .وقال سنيد : حدثنا حجاج عن أبي بكر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بنوك حين يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك . قال جميل :حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمالوقال مجاهد : (بنين وحفدة) ابنه وخادمه . وقال في رواية : الحفدة : الأنصار والأعوان والخدام .وقال طاوس : الحفدة : الخدم وكذا قال قتادة ، وأبو مالك ، والحسن البصري .وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ،

عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة أنه قال : الحفدة : من خدمك من ولدك وولد ولدك .قال الضحاك : إنما كانت العرب يخدمها بنوها .وقال العوفي ، عن ابن عباس قوله : (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) يقول : بنو امرأة الرجل ليسوا منه . ويقال : الحفدة : الرجل يعمل بين يدي الرجل ، يقال : فلان يحفد لنا قال : ويزعم رجال أن الحفدة أختان الرجل .وهذا [القول] الأخير الذي ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وأبو الضحى ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والقرظي . ورواه عكرمة ، عن ابن عباس .وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هم الأصهار .قال ابن جرير : وهذه الأقوال كلها داخلة في معنى : " الحفد " وهو الخدمة ، الذي منه قوله في القنوت : " وإليك نسعى ونحفد " ولما كانت الخدمة قد تكون من الأولاد والأصهار والخدم فالنعمة حاصلة بهذا كله ; ولهذا قال : (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)قلت : فمن جعل) وحفدة) متعلقا بأزواجكم فلا بد أن يكون المراد الأولاد ، وأولاد الأولاد ، والأصهار ; لأنهم أزواج البنات ، وأولاد الزوجة ، وكما قال الشعبي والضحاك فإنهم غالبا يكونون تحت كنف الرجل وفي حجره وفي خدمته . وقد يكون هذا هو المراد من قوله [عليه

الصلاة] والسلام في حديث بصرة بن أكثم : " والولد عبد لك " رواه أبو داود .وأما من جعل الحفدة هم الخدم فعنده أنه معطوف على قوله : (واالله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي : وجعل لكم الأزواج والأولاد .(ورزقكم من الطيبات) من المطاعم والمشارب .ثم قال تعالى منكرا على من أشرك في عبادة المنعم غيره : (أفبالباطل يؤمنون) وهم : الأصنام والأنداد ، (وبنعمة االله هم يكفرون) أي : يسترون نعم االله عليهم ويضيفونها إلى غيره .وفي الحديث الصحيح : " إن االله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ممتنا عليه " ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ " .